الفصل الرابع

وسائل تحقيق أهداف الدولة في الإسلام

[نسق القيم السياسية الإسلامية]

obeikandl.com

يعمد المنهاج الإسلامي إلى تحقيق أهداف الدولة من خلال مجموعة من الأدوات والوسائل ، التي تشكل في ذات الوقت نسقاً متكاملاً من القيم السياسية ، والقيم بشكل عام عبارة عن أفكار مثالية تعكس تصورات إنسانية مطلقة لجوانب الوجود الإنساني .

وهناك قيم إنسانية مطلقة مثل الجمال والخير ، وهناك قيم أخرى نوعية مثل القيم السياسية ، التي هي أفكار مثالية تمثل نموذجاً مطلقاً للممارسة السياسية ، وتتوزع القيم في انساق ، وكل نسق يحوي مجموعة من القيم التي ترتبط ببعضها ارتباطاً عضوياً .

وتنفرد النظرية السياسية الإسلامية بنسق خاص للقيم السياسية ، ويتسم هذا النسق بسمات وخصائص تميزه عن نسق القيم السياسية في نظريات سياسية أخرى .

القيم السياسية الإسلامية التي تنتظم في نسق خاص ، يعتمد عليها المنهاج الإسلامي أو النظام السياسي الإسلامي كأدوات لتحقيق أهداف الدولة الإسلامية ، وتتسم تلك القيم بجملة من الخصائص :

أولاً : القيم السياسية الإسلامية ترتبط ببعضها ارتباطاً عضوياً ، مما يجعلها تبدو في كلٍ واحد أساسه وقواعده الشريعة الإسلامية ، ومحوره الأساسي المنهاج الإسلامي ، وهدفه الفضيلة والسمو العقلي والفكري والسلوكي .

ثانياً : الإسلام يضفي على القيم السياسية الخاصة به طابعاً خاصاً ، فهذه القيم إنما وجدت لتقويم السلوك الإنساني وتهذيبه ومواءمته مع الصورة المثلى الذي خططها الإسلام للمجتمع .

ثالثاً : القيم السياسية الإسلامية في جملتها بمثابة أدوات تهدف إلي تحقيق أهداف الدولة الإسلامية ، وقد فرضها الله سبحانه وتعالى وأمر ولي الأمر أن يقيمها وينشرها في المجتمع الإسلامي .

ونتناول نسق القيم السياسية الإسلامية في خمسة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : العدالة .

المبحث الثاني : الإخاء .

المبحث الثالث : المساواة .

المبحث الرابع : الحرية .

المبحث الخامس : الوظيفة الاتصالية للدولة في الإسلام .

obeikandl.com

المبحث الأول

العدالة

العدالة قيمة إنسانية عليا وُجدت في مجتمعات عديدة منذ قديم الزمان ، وهي تعني انتفاء الظلم والجور ، ويمكن تناول قيمة العدالة كقيمة إسلامية من أكثر من جانب :

أولاً : الجانب الشرعي للعدالة :

نتناول الجانب الشرعي لقيمة العدالة من خلال الاهتمام الملحوظ الذي أعطته الشريعة الإسلامية لتلك القيمة .

قال تعالى :" إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً "[1] ، وفي هذه الآية الكريمة أمر من الخالق تبارك وتعالى بالعدل بين الناس ، وهذا الأمر موجه إلي الحكام والقضاة .

وقال تعالى :" يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهدآء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تُعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً "[2] ، يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا حاكمين بالعدل ولا يحملنهم الهوى والعصبية على ترك العدل .

---

[1]. سورة النساء : ٥٨ .
[2]. سورة النساء : ١٣٥ .

وقال تعالى :" يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهدآء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون "[1] ، أمر آخر في هذه الآية الكريمة من الله إلي المؤمنين بأن يكونوا حاكمين بالحق قاضين به لله عز وجل لا لأجل الناس والسمعة ، شهداء بالعدل ولا يضطرهم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل يستعملوا العدل في كل أحد صديقاً كان أو عدواً ، فهذا العدل من تقوى الله ولزوم طاعته .

وقال تعالى :" ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً إلاَّ وسعها . وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذالكم وصاكم به لعلكم تذَّكرون "[2] ، كذلك تحمل هذه الآية أمراً من الله تعالى بالعدل في القول والفعل على القريب والبعيد .

وقال تعالى :" ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون "[3] ، يخبر الحق تبارك وتعالى عن بني إسرائيل أن منهم جماعة يتبعون الحق ويحكمون به بين الناس ، وفي هذا دليل على أن العدل ينبغي أن يسود كل المجتمعات المسلمة وغير المسلمة لأنه سنام المجتمع وعماد الأمان والاستقرار والوئام .

وقال تعالى :" وممن خلقنآ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون "[4] ، والمقصود بالأمة في هذه الآية أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهي قائمة بالحق قولاً وعملاً ، يقولون به ويدعون إليه ويعملون ويقضون وفقاً له .

---

1. سورة المائدة : ٨ .
2. سورة الأنعام : ١٥٢ .
3. سورة الأعراف : ١٥٩ .
4. سورة الأعراف : ١٨١ .

وقال سعيد عن قتادة بلغني أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول إذا قرأ هذه الآية هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها " ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية :" إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم متى ما نزل " .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة " .

وقال تعالى :" إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتآئ ذي القربى وينهى عن الفحشآء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكَّرون "[1] ، يأمر الله تعالى في هذه الآية بالعدل الذي هو القسط والإحسان الذي يعني الفضل .

وقال تعالى :" فلذلك فادع واستقم كمآ أُمرت ولا تتبع أهوآءهم وقل إمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنآ أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير "[2] ، تحمل هذه الآية الكريمة أمراً من الحق تبارك وتعالى إلي رسوله الكريم بأن يحكم بالعدل بين المشركين إذا تخاصموا إليه .

وقال تعالى :" وإن طآئفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلي أمر الله فإن فآءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين "[3] ، وهذا أمر إلهي في هذه الآية للمؤمنين بالإصلاح

---

[1]. سورة النحل : ٩٠ .
[2]. سورة الشورى : ١٥ .
[3]. سورة الحجرات : ٩ .

والعدل بين المؤمنين إذا اختلفوا أو اقتتلوا ، وتحري العدل أمر واجب وضروري في الإصلاح بين المتقاتلين، فالله يحب ذلك ويزكيه .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا " .

ثانياً : الجانب الاجتماعي للعدالة :

لقيمة العدالة جانب اجتماعي مهم ، فسيادة هذه القيمة داخل المجتمع تقود إلي انتشار الأمن والأمان والاطمئنان لدى الأفراد والجماعات ، فكل فرد داخل المجتمع يشعر ويتيقن أنه سيحصل على حقه دون ضياع أو إهدار .

وقال تعالى :" الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور "[1] ، تشمل هذه الآية الكريمة ولي الأمر والرعية ، فلولي الأمر تطبيق شرع الله ، وأن يأخذ من الظالم للمظلوم ، وأن يهدي للتي هي أقوم ما استطاع ، وعلى الرعية الطاعة والإخلاص .

وقال تعالى :" وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون "[2] ، هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس

---

[1]. سورة الحج : ٤١ .
[2]. سورة النور : ٥٥ .

والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم ، فالعدل يصلح المجتمع وبه تستقر أمور الناس ويأمنون على أنفسهم وأموالهم .

ثالثاً : الجانب الإجرائي للعدالة :

يقصد بالجانب الإجرائي للعدالة المسائل ذات الصبغة الفنية مثل المساواة أمام القانون ، ونزاهة المحاكمات ، ويوجد في الدولة الإسلامية جهة معينة تكون مسئوليتها الإشراف على تطبيق العدالة ، وهي في المعتاد وزارة العدل .

ويقع على عاتق ولي الأمر أو الحاكم مهمة إقامة العدالة في المجتمع وتنظيم وترتيب الجانب الإجرائي للعدالة ، والذي يتمثل في الآتي :

* تحديد معايير وضوابط تعيين القضاة وتدرجها ، وكذلك العاملين في مجال إقامة العدالة ، بما يضمن نزاهة القضاء واستقلاليته .

* إنشاء المحاكم ودور القضاء وتوزيعها بشكل متوائم مع مناطق الكثافة السكانية على إقليم الدولة ، حتى لا يشق على المتقاضين وأصحاب الحقوق .

*اختصار زمن وإجراءات نظر القضايا والبت فيها ، حيث أن العدالة البطيئة نوع من الظلم ، ولكن بما لا يخل بمتطلبات الاستيفاء ، ومستلزمات الحيدة والنزاهة .

* تجهيز وإعداد القوة الخاصة بتنفيذ الأحكام ، بما يضمن سرعة التنفيذ وحصول صاحب الحق على حقه .

رابعاً : مراتب العدالة :

لقيمة العدالة مراتب ودرجات يمكن تناولها في الآتي :

- عدالة الخالق عز وجل :

الله هو الحكم العدل بين جميع المخلوقات والموجودات ، أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وقد حرّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده حراماً .

قال تعالى :" مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون "[1] .

وقال تعالى :" ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد "[2] .

وقال تعالى :" ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد "[3] .

وقال تعالى :" وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، فمآ أغنت عنهم ءالهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جآء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب "[4] .

وقال تعالى :" هل ينظرون إلآ أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون "[5] .

---

[1]. سورة آل عمران : ١١٧ .
[2]. سورة آل عمران : ١٨٢ .
[3]. سورة الأنفال : ٥١ .
[4]. سورة هود : ١٠١ .
[5]. سورة النحل : ٣٣ .

وقال تعالى : " وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون "[1] .

وقال تعالى : " ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد "[2] .

وقال تعالى : " من عمل صالحاً فلنفسه ومن أسآء فعليها وما ربك بظلام للعبيد "[3] .

وقال تعالى : " وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين "[4] .

وقال تعالى : " ما يبدل القول لدي ومآ أنا بظلام للعبيد "[5] .

❖ عدالة الرسل والأنبياء :

تأتي عدالة الرسل والأنبياء في المرتبة الثانية بعد عدالة الحق تبارك وتعالى ، وتتمثل عدالة الرسل والأنبياء في أكثر من شكل :

– الدعوة إلي دين الله وتبليغ رسالاته وهداية الناس .

– الحكم بين الناس بما أنزل الله من الكتاب .

وقال تعالى : " إنآ أنزلنآ إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بمآ أراك الله ولا تكن للخآئنين خصيماً "[6] .

---

[1]. سورة النحل : ١١٨ .
[2]. سورة الحج : ١٠ .
[3]. سورة فصلت : ٤٦ .
[4]. سورة الزخرف : ٧٦ .
[5]. سورة ق : ٢٩ .
[6]. سورة النساء : ١٠٥ .

obeikandl.com

* عدالة ولي الأمر أو الحاكم :

في المرتبة الثالثة تأتي عدالة ولي الأمر أو الحاكم ، وقد سبق لنا تناول عدالة ولي الأمر أو الحاكم عند الحديث عن الجانب الشرعي للعدالة .

* عدالة المسلم :

حتى المسلم العادي مطالب بأن يكون عادلاً في أسرته وبين أبنائه ، وبينه وبين كافة الناس في المجتمع الذي يعيش فيه .

قال الحق تبارك وتعالى :" وإن خفتم ألاَّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النسآء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاَّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاَّ تعولوا "[1] .

وقال تعالى :" ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النسآء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً "[2] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" لتؤدن الحقوق إلي أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " .

---

[1]. سورة النساء : ٣ .
[2]. سورة النساء : ١٢٩ .

obeikandl.com

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أراضين " .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ :" وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شئ فليتحلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، من كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمّل عليه " .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إنما أنا بشر وأنكم تختصمون إلي ، لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار " .

وعن بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً " .

وعن خولة بنت عامر الأنصارية وهي امرأة حمزة رضي الله عنهما قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة " .

المبحث الثاني

الإخاء

القيمة الثانية في نسق القيم السياسية الإسلامية هي الإخاء ، والإخاء يعني إنزال العلاقة الدينية بين المسلمين منزلة الأخوة من النسب ، ومن ثم فقيمة الإخاء عبارة عن علاقة بين المسلمين أساسها الدين الإسلامي ، وهذا الدين انطلاقاً من سموه ومكانته يجعل العلاقة بين المسلمين من القوة والمتانة بما يصل بها إلي منزلة ومكانة الأخوة من النسب .

والإخاء كقيمة إنسانية سامية نادت بها كافة الأديان يهودية ومسيحية ، وحتى الأفكار الإنسانية الموضوعة ، إلا أن الإسلام قد أضفى على هذه القيمة طابعاً خاصاً وأعطاها مذاقاً مميزاً ، فقد آخى الإسلام بين أشخاص وأفراد لا يعرف بعضهم بعضاً وينحدرون من أصول لا يمت بعضها إلي بعض بصلة ، وكانت أخوة الدين في كثير من الأحيان أقوى وأمتن من أخوة النسب وعلى هذا الأساس المتين نشأت وتوطدت أركان دولة الإسلام الأولى التي أسسها النبي الكريم في المدينة المنورة .

وقيمة الإخاء تقود مباشرةً وتلقائياً إلي ما يعرف بالتكافل الاجتماعي ، وللتكافل الاجتماعي شكلان : الشكل الأول أعم وأشمل فهو يشمل كل العلاقات والروابط بين أبناء المجتمع الإسلامي ، الشكل الثاني : أخص وأكثر تحديداً ، وتقوم به الدولة من خلال أجهزتها المعنية ، وسوف نوضح ذلك في حينه ، والآن نتتبع قيمة الإخاء من خلال الآتي :

أولاً : قيمة الإخاء في الشريعة الإسلامية :

أبرزت الشريعة الإسلامية قيمة الإخاء بصورة واضحة وجلية ، ويمكن تتبع ذلك من خلال الآتي :

- القرآن الكريم :

قال تعالى :" في الدنيا والأخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم ، والله يعلم المفسد من المصلح . ولو شآء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم "[1] ، وتأتي هذه الآية الكريمة لتحض على كفالة اليتيم والإحسان إليه ومخالطته في طعامه وشرابه فهو أخ في الدين .

وقال تعالى :" واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعدآءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون "[2] ، هذا السياق في شأن الأوس والخزرج فقد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام صاروا إخواناً متحابين متواصلين متعاونين على البر والتقوى .

وقال تعالى :" يآ أيها الذين إمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزًّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحي ويميت والله بما تعلمون بصير "[3] ، وفي هذه الآية ينهى الله تعالى عباده المؤمنين

---

[1]. سورة البقرة : ٢٢٠ .
[2]. سورة آل عمران : ١٠٣ .
[3]. سورة آل عمران ١٥٦ .

عن مشابهة الكفار ، في قولهم لإخوانهم إذا سافروا للتجارة ونحوها أو كانوا في الغزو لو بقوا عندنا ما ماتوا في السفر ولا قتلوا في الغزو .

وقال تعالى :" الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قُتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين "[1] ، كذلك وردت لفظة إخوانهم في هذه الآية لتدل على قوة الرابطة وعمق الأواصر .

وقال تعالى :" فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصّل الأيات لقوم يعلمون "[2] ، وتعني هذه الآية الكريمة أن المشركين إذا أقلعوا عن الآثام والمعاصي وعبادة الأوثان وتابوا إلي الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة بذلك أصبحوا إخواناً للمؤمنين في الدين . ويا لعظمة الإسلام عندما يجبُّ ما قبله ويحوّل المشرك إلي أخ أعزُّ من أخ النسب .

وقال تعالى :" يآ أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا ءابآءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ۞ قل إن كان ءابآءكم وأبنآؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين "[3] ، ويتضح من سياق هاتين الآيتين الكريمتين أن الأخوة في الإسلام أبقى وأفضل من الأخوة في النسب .

---

[1]. سورة ال عمران : ١٦٨ .
[2]. سورة التوبة : ١١ .
[3]. سورة التوبة : ٢٣ و ٢٤ .

وقال تعالى :" ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين "[1] ، ترسم هذه الآية صورة رائعة للأخوة في الإسلام ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة نزع الله ما كان في صدورهم في الدنيا من غل وجعلهم أكثر محبة وألفة مما كانوا عليه في الدنيا .

وقال تعالى :" ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا ءاباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً "[2] ، كذلك أبرزت هذه الآية الكريمة معناً بديعاً للتراحم والإخاء ، فقد استعاضت هذه الآية بعلاقة الأخوة في الدين عن علاقة الأبوة إذا لم يُعلم الأب .

وقال تعالى :" إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون "[3] توضح هذه الآية الكريمة أن كل المؤمنين أخوة في الدين ، والإصلاح بين الأخوة واجب وفريضة على كل من يشهد خلافاً بين المؤمنين .

وقال تعالى :" يآ أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم "[4] ، تحث هذه الآية الكريمة على الألفة والتآخي والبعد عن الغيبة والنميمة .

وقال تعالى :" والذين جآءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين ءامنوا ربنا إنك رءوف رحيم "[5] ، ترشد هذه الآية الكريمة

---

[1]. سورة الحجر : ٤٧ .
[2]. سورة الأحزاب : ٥ .
[3]. سورة الحجرات : ١٠ .
[4]. سورة الحجرات : ١٢ .
[5]. سورة الحشر : ١٠ .

إلي صفات المؤمنين الذين يحبون لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم ويطلبون لهم المغفرة ويسألون الله أن يُخلِص قلوبهم لإخوانهم .

* السنة المطهرة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إذا دعا المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب قال الملَك آمين ولك مثله " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن من أهل الإيمان كما يألم الجسد في الرأس " .

ثانياً : الإخاء والتكافل الاجتماعي :

قيمة الإخاء وثيقة الصلة بمبدأ التكافل الاجتماعي ، والمبدأ الأخير يعد إحدى الركائز الأساسية التي ترتكز عليها الدولة في الإسلام ، فهو هدف من أهداف تلك الدولة ،

والتكافل الاجتماعي يعني أن يتكفل من يملك بمساعدة من لا يملك ، ومن يملك قد يكون فرداً وقد تكون الدولة ذاتها ، ويمكن أن نزيد ذلك إيضاحاً من خلال الآتي :

* الإخاء والتكافل بين المسلمين :

قيمة الإخاء داخل المجتمع المسلم تقود إلي سيادة مبدأ التكافل الاجتماعي . فالمسلم يهمه شأن أخيه ، فيشقى لشقائه ويسعد لسعادته ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، وعليه فالتواصل والتراحم بين الأفراد يعد إحدى سمات المجتمع المسلم ، والتواصل والتراحم لا يقتصر على الأمور والمسائل المعنوية والوجدانية وإنما يتجاوز ذلك إلي التكافل والتعاون المادي والاقتصادي .

قال تعالى :" وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار * إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقرآء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير * ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشآء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغآء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون * للفقرآء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم * الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون "[1] .

وقال تعالى :" يآ أيها الذين ءامنوا لا تحلوا شعآئر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلآئد ولا ءآمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً وإذا حللتم فاصطادوا ولا

[1]. سورة البقرة : ٢٧٠ ـ ٢٧٤ .

يجرمنّكم شنئآن قوم أن صدُّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب "[1] .

وقال تعالى :" إنما الصدقات للفقرآء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم "[2] .

وقال تعالى :" خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم "[3] .

وقال تعالى :" وفي أموالهم حق للسآئل والمحروم "[4] .

وقال تعالى :" والذين في أموالهم حق معلوم ، للسآئل والمحروم "[5] .

* دور الدولة الإسلامية في التكافل الاجتماعي :

للدولة الإسلامية دور يعتد به في ترسيخ مبدأ التكافل الاجتماعي من خلال التدخل لمساعدة الأفراد المحتاجين . وتتضمن تلك المساعدة توفير المتطلبات الأساسية للحياة ويتشابه مبدأ التكافل الاجتماعي في الدولة الإسلامية مع فكرة " دولة الرفاهة " السائدة في الفكر السياسي المعاصر ، وتطبق الدولة الإسلامية مبدأ التكافل الاجتماعي عن طريق الأخذ من الأغنياء والقادرين وإعطاء الفقراء وغير القادرين . وتعرف هذه العملية شرعاً بالزكاة . وبذا توفر

---

[1]. سورة المائدة : ٢ .
[2]. سورة التوبة : ٦٠ .
[3]. سورة التوبة ١٠٣ .
[4]. سورة الذاريات : ١٩ .
[5]. سورة المعارج : ٢٤ و ٢٥ .

obeikandl.com

الدولة متطلبات الحياة الضرورية لأكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع المسلم ، إضافةً إلي توفير فرص العمل لمن يستطيع .

ثالثاً : الآثار السياسية لقيمة الإخاء :

تترك قيمة الإخاء آثار سياسية بليغة على المجتمع والدولة والنظام السياسي ، وقد برزت تلك الآثار وتنبَّه إليها الكثيرون في الوقت الراهن ، ويتضح ذلك في الآتي :

- توطيد البعد الاجتماعي للدولة في الإسلام :

توضح قيمة الإخاء اهتمام الدولة الإسلامية بالبعد الاجتماعي ، كما تبرز هذه القيمة إحدى أهم خصائص تلك الدولة ، وهي خصية الاهتمام بالفقراء والمحتاجين ، فهي تأخذ من الغني لتزكية ماله دون تعسف أو إضرار ، وتعطي للفقير دون من أو أذى لتشعره بالأمن والأمان ، وتلبي حاجته فلا يلجأ إلي الطرق المنحرفة لكي يحرز ما يريد ، ولا يمتلئ قلبه بالحقد والبغض على الغني . وعندئذ يصبح الجميع مواطنين أسوياء يحب بعضهم البعض ويقدرون للدولة دورها الحاني .

لقد وردت نظريات بشرية عديدة للوصول إلي تلك القيمة وإقرارها ، ولم تفلح أي من تلك النظريات في الوصول إلي ما جاءت به الشريعة الإسلامية وصاغته في قيمة الإخاء ، وتركت لأولياء الأمر تطبيق تلك القيمة ، وأناطت بالمجتمع جني ثمارها .

* إقرار الأمن والاستقرار داخل المجتمع :

قيمة الإخاء بالوصف والتفصيل اللذين أوردناهما ، تساعد بشكل فعال على إقرار الأمن والاستقرار داخل ربوع الدولة الإسلامية ، فهي تحمي المجتمع من الصراعات بين الأغنياء والفقراء ، وتجعل منه نسيجاً متجانساً ، ومن ثم تتحول الدولة الإسلامية إلي دولة قوية متماسكة تقدم الأنموذج الجدير بالاحترام والتقدير .

obeikandl.com

المبحث الثالث

المســـــاواة

المساواة هي إحدى قيم النسق الإسلامي للقيم السياسية ، ولقد ظهرت هذه القيمة في الفكر السياسي البشري منذ القدم ، ولا تزال حتى الآن تسيطر على فكر الكثيرين ، ونتناول قيمة المساواة من خلال الآتي :

أولاً : ماهية المساواة :

قيمة المساواة من القيم التي يتسم تعريفها بالصعوبة . وتنبع هذه الصعوبة من كون مفهوم المساواة يضيق ويتسع حسب معايير وضوابط معينة . وكذلك من تداخل هذا المفهوم مع مفاهيم أخرى مثل العدالة والحرية ، والمساواة في معناها العام المجرد تعني حالة انتفاء الفروق بين عناصر تتجانس في صفاتها .

ويمكن تحليل المفهوم السابق إلي عناصره التالية :

* حالة انتفاء الفروق : وهذه الحالة تعني التشابه والتماثل والتناظر في المعاملة والقابلية لاستقبال أحكام معينة .

* العناصر موضع التحليل : وهي هنا العناصر البشرية أو الأفراد من البشر .

* التجانس في الصفات : وهذا العنصر من العناصر المهمة في تعريف المساواة ، والتجانس في الصفات هو الذي يعطي مفهوم المساواة التحديد والضبط . فالتجانس في الصفات هو

المعيار والأساس الذي بناء عليهما تطبق المساواة وتظهر إلي حيز الوجود ، وهذا المعيار الذي هو التجانس في الصفات يضيق ويتسع ، ويضيق ويتسع معه نطاق تطبيق قيمة المساواة .

وإذا أخذنا بمعيار التجانس في الصفات على أوسع نطاق ، كنا أمام أفراد الجنس البشري أو بني آدم ، وهنا تظهر قيمة المساواة فيما بين البشر ، ويكون للمساواة على هذا النطاق أو المدى أوجه ومواطن معينة مثل توفير متطلبات الحياة الإنسانية وكافة الأمور الأكثر عمومية .

أما إذا ضيقنا من نطاق التجانس في الصفات إلي مستوى الدولة نكون أمام مواطني الدولة . فهم أولاً متساوون على أساس معيار الآدمية أو الإنسانية . ثم بعد ذلك هم متساوون في كونهم يحملون صفات المواطنة لدولة بعينها ، ومن ثم فلهم حقوق وعليهم واجبات متساوية وذلك بموجب صفات المواطنة ، وإن المفاضلة بين المواطنين لا تتم إلا على أساس الكفاءة والصلاحية دون اعتبار للأوضاع الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأصل أو اللون إلي غير ذلك من العوامل الأثينية .

ثانياً : التداخل بين قيمتي العدالة والمساواة :

يلاحظ أن ثمة تداخلاً واضحاً بين قيمتي العدالة والمساواة ، وقد قاد ذلك التداخل إلي إحاطة مفهوم المساواة بهالة من الغموض وعدم الوضوح لدى كثير من الكتَّاب والمفكرين غير المتخصصين ، فالبعض ينظر إلي المساواة على أنها وجه من وجوه العدالة ، إذ أن العدالة تتطلب المساواة في تطبيق الأحكام وإجراء المحاكمات وإقامة الحدود . كما أن هاتين

القيمتين يرتبط وجود كل منهما بوجود الأخرى ويتوقف عليها . فلا يتصور وجود العدالة وقيامها بدون المساواة ، وكذلك لا يتصور وجود المساواة بدون العدالة .

وبالرغم مما تقدم تظل قيمتا العدالة والمساواة لكل منهما معناها المتميز ومجالات تطبيقها ودلالتها الخاصة . والتلازم بين القيمتين وجوداً وعدماً يميز نسق القيم السياسية الإسلامية .

ثالثاً : المساواة في الشريعة الإسلامية :

قيمة المساواة وردت في الشريعة الإسلامية مرتبطة بقيمة العدالة . على اعتبار أن قيمة العدالة في المجتمع الإسلامي تقود تلقائياً إلي قيمة المساواة . ويمكن الوقوف على ذلك من خلال الإحالة إلي الجانب الشرعي لقيمة العدالة .

رابعاً : الآثار السياسية والاجتماعية للمساواة :

مثل جميع القيم والمبادئ السياسية تنعكس قيمة المساواة على الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي ، فالمجتمع الذي تسود فيه قيمة المساواة لا يعرف المحسوبية ولا الرشوة ولا أي مظهر من مظاهر الفساد الأخرى . كذلك فالنظام السياسي يتسم بالقوة والتماسك والتواصل بينه وبين مجتمعه الذي يمثل بالنسبة له الوسط والبيئة التي يتفاعل معها ويعيش فيها .

المبحث الرابع

الحرية

الحرية في نسق القيم السياسية الإسلامية ذات خصوصية وتميز يميزاها عن معناها في الأفكار السياسية الأخرى ، ويمكن إيضاح ذلك من خلال الآتي :

أولاً : خصوصية قيمة الحرية في الإسلام :

قيمة الحرية في الإسلام تتسم بسمتين تميزاها عن معناها في الأفكار السياسية الأخرى وتتمثل هاتان السمتان في الآتي :

« الحرية في الإسلام مشروطة بعد الإضرار بالآخرين :

قيمة الحرية في الإسلام قيمة منظَّمة ومهذَّبة ، لا تصل إلى حد الإطلاق والفوضى ، فهي تعطي لكل فرد حق في أن يتصرف بحرية شريطة ألاَّ تتجاوز تصرفاته حدود حريات الآخرين ، ومهمة الدولة الإسلامية أن تضع الحدود الفاصلة بين حرية الفرد وحريات الآخرين ؛ وأن تحمي تلك الحريات وتحمي كذلك تلك الحدود وتردع من يفكر في تجاوزها وتعاقب من يتجاوزها بما يتواءم مع قدر التجاوز .

« الحرية في الإسلام مشروطة بعدم تخطي الحدود التي وضعتها الشريعة :

النظريات السياسية الغربية التي هي نتاج للفكر البشري تجتهد في أن تهذب الحريات الفردية من خلال قيم ومبادئ تحكم تلك الحريات وتُحِد من جموحها حتى لا تصل إلى حد

الفوضى ، أما الوضع في نسق القيم السياسية الإسلامية فيختلف اختلافاً جوهرياً في هذا الصدد ، فالشريعة الإسلامية ممثلة في القرآن والسنة تضع الحدود والفواصل التي تهذب حرية الفرد بالمبادئ والقيم الإسلامية . فالمسلم يدرك أنه يعيش في مجتمع إسلامي قائم على قيم العدالة والمساواة ، ويدرك كذلك أن جميع أفراد مجتمعه متساوون في الحقوق والواجبات . ومن ثم فهو مطالب بأن يحترم حريات الآخرين حتى يضمن أن يحترم الجميع حقوقه وحرياته .

ثانياً : معنى الحرية في الإسلام :

الحرية تعني انتفاء القيود التي تحد من رغبات الفرد فكراً وسلوكاً ، وهذا هو المعنى المطلق والواسع للحرية ، والمتأمل لهذا التعريف يلحظ أن رغبات الفرد سواء تبلورت في صورة أفكار أو تجسدت في شكل سلوك هي أساس مفهوم الحرية ، وأنه كلما فُرضت القيود على تلك الرغبات كان الحد من مساحة الحرية ، والعكس صحيح فكلما قلت أو انعدمت تلك القيود زادت مساحة الحرية إلى أن تنتفي نهائياً تلك القيود التي تحد من رغبات الفرد الفكرية والسلوكية ، وعندئذ نصبح أمام الحرية المطلقة التي لا تحدها حدود ولا تقيدها قيود .

وإذا قُدّر لمجتمع من المجتمعات أن يقبل بسيادة قيمة الحرية بمعناها السابق ، فستتحول تلك القيمة إلى ضرب من الفوضى يعم المجتمع ، حيث تصطدم حريات أفراد المجتمع ببعضها البعض ، وتنشب الصراعات عندما ينبري كل فرد لحماية حريته والدفاع عن رغباته الجامحة ! .

ومن ثم برزت الأفكار والآراء التي طالبت بإلحاح بوضع القيود على الحريات لحماية المجتمع من الفوضى والصراعات التي تسببها الحرية المطلقة ، وأفرزت تلك الآراء والأفكار قيوداً ذات طابع قانوني في شكل قواعد وضوابط للسلوك ، تهذب من الحرية المطلقة وتحد من آثارها المدمرة ! .

ولم يقتصر الأمر على تلك الأفكار والآراء المناهضة للحرية المطلقة وما أفرزته من قواعد وضوابط مهذبة ، بل برزت كذلك القيود التي جاءت بها الشرائع الإلهية والديانات في شكل قيم ومثُل ومبادئ تقيد من جموح الحرية التي أرادها المتحررون في شكل سام رفيع .

وبادرت المجتمعات التي خرجت منها الحرية المطلقة إلى الأخذ بالقيود القانونية لتهذيب الحرية ، وبادرت مجتمعات أخرى إلى الأخذ بالمبادئ والقيم التي جاءت بها الأديان والشرائع السماوية ، في الوقت الذي لجأت طائفة ثالثة من المجتمعات إلى الأخذ بالشرائع السماوية والقيود القانونية الموضوعة معاً .

وجاءت الحرية في المجتمع الإسلامي مقيدة بالمبادئ والقيم الإسلامية ، كما جاءت كذلك مقيدة بالقيود القانونية الموضوعة ، وأصبحت الحرية في المجتمع الإسلامي تعني التزام الفرد وهو بصدد تحقيق رغباته الفكرية والسلوكية بالقيم والمبادئ الإسلامية والقوانين التي تصدرها الدولة كضوابط للسلوك .

ثالثاً : أهم الحريات وموقف الشريعة الإسلامية منها :

الحرية بمعناها المتقدم تتجسد في شقين : الشق الأول حرية التعبير بالقول ، والشق الثاني حرية التعبير بالفعل والسلوك ، ويمكن الوقوف على موقف الشريعة الإسلامية من الحرية بشقيها من خلال الآتي :

• الحريات الفكرية :

تتعلق الحريات الفكرية عموماً بحق الفرد في الاعتقاد والتفكير والتعبير عن رأيه . ويتضمن ذلك حقين :

– الحق الأول : حق الفرد في الاعتقاد والفكر : فللفرد الحرية في أن يعتنق من الأفكار ما يراه سوياً ومعبراً عن توجهاته وآرائه .

– الحق الثاني : حق الفرد في التعبير عن رأيه : وهذا الحق يكمّل الحق السابق ويتمّمه ، فإذا أُتيحت للفرد حرية اعتناق الأفكار والآراء التي يراها متفقة مع توجهاته ، فهو كذلك في حاجة إلى أن يملك حق التعبير عن رأيه فيما يسمع ويرى والتعبير كذلك عن الأفكار والآراء التي اعتنقها .

والآن ما هو موقف الإسلام من هذين الحقين المتعلقين بالفكر والتعبير ؟ للتعرُّف على موقف الإسلام من حرية الفكر أو الاعتقاد ، لابد من مناقشة بعض الإشكاليات والمعضلات الفكرية التي تتعلق بعلاقة المسلم بالعقيدة الإسلامية ، فالعقيدة الإسلامية بالنسبة إلى المسلم هي المعتقد الأوحد الذي يملأ فكره وكيانه ، ولا يمكن له أن يشحن فكره بمعتقد آخر بالإضافة إلى عقيدته الإسلامية ، فالفكر لا يقبل إلا معتقداً أو عقيدة واحدة ولا يستوعب معها سواها ، فإذا اعتنق المسلم العقيدة الإسلامية بصدق وإخلاص وإيمان فلا يمكن له أن يقبل سواها لأنها ستلبي له كل احتياجاته الفكرية ، وسيجد فيها كل ما يمكن أن يفكر فيه ، وبذلك لن يكون أمام المسلم من خيارات فكرية ومعتقدية مطروحة للمفاضلة .

قال تعالى " ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل "[1]. وتوضح هذه الآية الكريمة أن الله كما لم يجعل للرجل من قلبين في جوفه لم يجعل له عقلين ، ولم يجعل لعقله إمكانية أن يعتنق معتقدين في آن واحد ، أو يجمع بين المعتقد ونقيضه في ذات الوقت .

أما بالنسبة إلى حرية التعبير عن الرأي وهو الحق الثاني فيما يتعلق بالحريات الفكرية ، فما يهمنا هنا هو الموضوع محل هذا الحق أو هذه الحرية . فهل التعبير عن الرأي يتم بخصوص المعتقد أو العقيدة ، أم أنه يتعلق بقضايا ومسائل أخرى غير العقيدة ؟ .

معلوم أن المعتقد أو العقيدة إذا وصلت إلى مرحلة العقيدة أو الاعتقاد فهي لم تعد قابلة للجدل ، ولم يعد يجدي معها حرية الرأي أو تعدد الآراء . فقد سبق للفرد أن فاضل وقارن ثم أختار العقيدة واعتنقها ، وهذا هو حال العقيدة الإسلامية . فالمسلم الذي اتخذ من الإسلام عقيدة لم يعد يملك إزاء هذه العقيدة رأياً آخر أو توجهاً مغايراً ، ولم تعد تلك العقيدة قصراً على العقل والفكر بل تعدت ذلك فرسخت في العقل ووقرت في القلب .

وفيما عدا العقيدة يمكن للمسلم أن يعرب عن رأيه الحكيم والمتزن في كافة القضايا الحياتية التي لم يرد بخصوصها نص شرعي من القرآن الكريم أو السنة المطهرة ، فالمسلم كيّس فطن حباه الله نعمة العقل لكي يفكر في خلق الله ويتدبر آياته ويجتهد في ما ليس فيه حكم من الله أو من رسوله

وللتعبير عن الرأي أصول وقواعد ينبغي على المسلم أن يتعلمها ويتقنها ، فالتعبير عن الرأي يُعرف شرعاً بالاجتهاد ، والأخير واجب على كل مسلم يمتلك مؤهلات ومقدرات القيام بالاجتهاد ، فالمجتهد يحترم آراء الآخرين ولا يحط من قدرها ، ولا يأخذه الغرور إذا

[1]. سورة الأحزاب : ٤ .

أصاب أو يصيبه اليأس إذا أخطأ ، وينتقد بهدف التقويم والبناء ولا ينتقد بهدف الهدم والانتقاص من قدر الآخرين ، يقدم آراءه واجتهاداته في شكل نصائح مسداة وإرشادات مهداه .

* الحريات السلوكية أو الفعلية :

ننتقل من الحريات الفكرية إلى الحريات السلوكية أو الفعلية ، وهي الحريات التي تتضمن حق الفرد في القيام بتصرفات معينة أو سلوك سلوكيات محددة ، وتتجسد الحريات السلوكية في مجموعة من التصرفات يمكن تناولها في الآتي :

– حرية التملك : حق التملك في الإسلام مكفول للجميع ، ولكن بما لا يتعارض مع قوانين الدولة ، والالتزام بأداء ما تفرضه الدولة على المتلكات من حق عام أو زكاة .

– حرية التصرف : كافة التصرفات متاحة أو مباحة في الإسلام إلاّ ما حرّم بنص ، فللمسلم الحق في أن يبيع ويشتري وينتقل ويملك إلى آخر هذه التصرفات ، أما السلوكات أو التصرفات المحرمة شرعاً فمعروفة ومعلومة للجميع بحكم النصوص .

– حرية الإقامة لغير المسلمين : كذلك يحق لغير المسلم أن يقيم في المجتمع الإسلامي مع احتفاظه بدينه ، ويمارس حياته وعبادته بالشكل المعتاد ، ويمكن دعوته للدخول في الدين الإسلامي ، ولكن لا يُكره ولا يُجبر على ذلك ،

قال تعالى " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم " .[1]

[1]. سورة البقرة : ٢٥٦ .

المبحث الخامس

الوظيفة الاتصالية للدولة في الإسلام

الوظيفة الاتصالية هي إحدى القيم السياسية المهمة في نسق القيم السياسية الإسلامية وهذه الوظيفة الاتصالية هي تعبير عن الرسالة الإنسانية للإسلام ودولته . كما أن هذه القيمة هي قيمة حضارية بالأساس ، ويمكن تناول هذه الوظيفة من خلال الآتي :

أولاً : معنى الوظيفة الاتصالية للدولة في الإسلام :

الوظيفة الاتصالية للدولة الإسلامية تعني عملية التواصل الفكري والثقافي والحضاري والتفاعل الإنساني بين الدولة الإسلامية والعالم الخارجي ، ويحتوي هذا التعريف للوظيفة الاتصالية على مجموعة من العناصر نبرزها في الآتي :

* الوظيفة الاتصالية إحدى مهام الدولة في الإسلام ، وسبب من أسباب وجودها ، وهذا ينفي ما يردده المرجفون من أن الدولة في الإسلام كيان منعزل سلبي لا يميل إلى الاندماج أو التفاعل مع العالم الخارجي .

* الوظيفة الاتصالية عملية متكاملة تفترض قيام شبكة من العلاقات والتفاعل بين الدولة الإسلامية والعالم الخارجي ، فهي ليست حالة وقتية أو عرض زائل ولكنها عملية لها طابع الدوام والاستمرارية .

* الوظيفة الاتصالية تفترض قيام تواصل فكري وحضاري وتفاعل إنساني ، وذلك يعني امتلاك الدولة الإسلامية القدرة على العطاء والتفاعل ، واكتساب خاصية الفرز والتمييز بين المتداول والشائع من الأفكار وانتقاء ما هو سوي صالح .

* الوظيفة الاتصالية قد توجه إلى الدول الإسلامية أو الأقليات الإسلامية داخل الدول غير الإسلامية ، وقد توجه كذلك إلى دول وحضارات غير إسلامية .

* الوظيفة الاتصالية للدولة الإسلامية تنطلق من منطلقات ثابتة واضحة ، وتهدف إلى تحقيق أهداف معروفة ومحددة سلفاً .

* الوظيفة الاتصالية توجه إلى المهتم بالإسلام لتزيد من اهتمامه وتحوله إلى صاحب عقيدة ، والى غير المهتم لتجعل منه مهتماً بالإسلام .

ثانياً : منطلقات الوظيفة الاتصالية للدولة في الإسلام :

للوظيفة الاتصالية للدولة في الإسلام منطلقان أساسيان تنطلق منهما تلك الدولة إلى العالم الخارجي ، ويمكن تناول هذين المنطلقين في الآتي :

* الرسالة الإنسانية للإسلام :

المنطلق الأول يعني أن للإسلام رسالة إنسانية سامية موجهة إلى العالم أجمع ، لا تعرف جنساً بعينه ، ولا تقصد أصلاً بذاته ، ومن هذا المنطلق نلحظ انتشار الإسلام في دول كثيرة من العالم ، إذا لم يكن كل دول العالم بدون استثناء ، فلقد أصبحنا نجد المسلمين في كل

دول العالم حتى ولو كانوا أقليات ، وهذا يفسر كون الأمة الإسلامية لا تعتمد إلاَّ رابطة الدين أساساً لوجودها وقاعدة لكيانها .

ورسالة الإسلام تتبلور في الدعوة إلى الفضيلة التي هي الخير والصلاح ، والوصول إلى ذلك يتم من خلال الإيمان بالله وطاعته في الحياة الدنيا ، والانتهاء إلى مستقر رحمته التي هي جنة المأوى ، ومن ثم فالإسلام دعوة إلى الخير في الدنيا والآخرة .

قال تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين ءاياته للناس لعلهم يتذكرون " .[1]

وقال تعالى " والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشآء إلى صراط مستقيم " .[2]

• القيمة الفكرية الثقافية والحضارية للإسلام :

الإسلام ليس ديناً فقط ولكنه فكر وثقافة وحضارة بكل أبعادها ومشتملاتها . فالإسلام يقدم إسهامه في كل مجالات الحياة ويدلو بدلوه في كل ثابت وعارض ، ويملك نظرته الخاصة ومنهجه المميز لكل جانب من جوانب المجتمع وشأن من شئونه .

مما تقدم نخلص إلى أن الإسلام يقدم الفكر والنظر في تصور متكامل وإطار شامل لحياة المجتمع البشري ، ثم هو كذلك يقدم القواعد والأصول المنظمة لتفاعل الإنسان مع حركة الحياة في هذا الكون الفسيح ، فهو إذن يعطي إطار الفكر ونموذج الحركة في تناغم وتوافق

---

[1]. سورة البقرة : ٢٢١ .
[2]. سورة يونس : ٢٥ .

بديع لا يستوعبه ولا ينسجم معه إلا من فهم الإسلام حق الفهم وتعامل معه كفكر كحضارة وليس كدين وشعائر فقط .

إن من يتعامل مع الإسلام بوصفه شعيرة ونسكاً ، يشعر بأنه أشمل وأثرى وأوسع من ذلك ، فهو عطاء وإسهام ومقدرة فائقة على التعامل والتفاعل والتمييز بين القيّم النفيس والغث الرخيص ، هكذا الإسلام قيمة حضارية لا يثمنها إلا أولو النهى .

قال تعالى " قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين " .[1]

وقال تعالى " إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كآفة كما يقاتلونكم كآفة واعلموا أن الله مع المتقين " .[2]

وقال تعالى " ما تعبدون من دونه إلآ أسمآء سميتموهآ أنتم وءاباؤكم مآ أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلآ إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " .[3]

وقال تعالى " قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً " .[4]

---

[1]. سورة الأنعام : ١٦١ .
[2]. سورة التوبة : ٣٦ .
[3]. سورة يوسف : ٤٠ .
[4]. سورة الكهف : ٢ .

وقال تعالى " فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " .[1]

وقال تعالى " فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون " .[2]

وقال تعالى " فيها كتب قيمة * وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جآءتهم البينة * وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفآء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة " .[3]

ثالثاً : أهداف الوظيفة الاتصالية للدولة في الإسلام :

تتمثل أهداف الوظيفة الاتصالية للدولة في الإسلام في الآتي :

* الدعوة إلى دين الله :

أول أهداف الوظيفة الاتصالية هو الدعوة إلى دين الله ، فالدولة الإسلامية في سياستها الخارجية لا تغفل عن الدعوة إلى دين الله ، وهذه المهمة بمثابة مواصلة للدعوة الإسلامية التي بدأها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعون لهم .

---

[1]. سورة الروم : ٣٠ .
[2]. سورة الروم : ٤٣ .
[3]. سورة البينة : ٣-٥ .

obeikandl.com

قال تعالى " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " .[1]

وقال تعالى " لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنَّك في الأمر ، وادع إلى ربك انك لعلى هدى مستقيم " .[2]

وقال تعالى " ولا يصدنَّك عن ءايات الله بعد إذ أنزلت إليك ، وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين " .[3]

وقال تعالى " وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً " .[4]

وقال تعالى " فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل ءامنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير " .[5]

من الآيات السابقة نلحظ أن هناك أمراً من الله سبحانه وتعالى بالدعوة إليه وإلى دينه الحنيف ، ويجب على المسلمين مواصلة الدعوة إلى دين الله التي بدأها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

كذلك أوضحت الآيات الكريمة أصول الدعوة إلى دين الله ، وتتحدد تلك الأصول في الآتي :

---

[1]. سورة النحل : ١٢٥ .
[2]. سورة الحج : ٦٧ .
[3]. سورة القصص : ٨٧ .
[4]. سورة الأحزاب : ٤٦ .
[5]. سورة الشورى : ١٥ .

obeikandi.com

– الإلمام بأهم خصائص الإسلام والمتمثلة في النزعة الإنسانية والسمة الحضارية التي تمثل في ذات الوقت منطلقات الدعوة الإسلامية .

– ترتكز الدعوة الإسلامية في شق كبير منها على تقديم الأنموذج للمسلم فكراً وسلوكاً فذلك أبلغ من الكلام وأجدى من الحديث .

– الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة التي تعني كتاب الله وسنة رسوله الكريم .

– الدعوة إلى سبيل الله بالموعظة الحسنة التي تعني الإرشاد إلى أوامر الله وزواجره .

– في حالة اللجوء إلى المناظرة والجدال فليكن بالوجه الحسن وبالرفق ولين الجانب وحسن المنطق والخطاب .

ومما سبق نلحظ أن الدعوة توجه إلى فئتين :

○ الفئة الأول : هي الأقليات المسلمة في الدول غير المسلمة . لضمان استمرار التواصل بين أبناء الأمة الإسلامية ، ورعاية تلك الأقليات وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من فتاوى وآراء . ودعم قضاياها وربطها بالأمة الإسلامية .

○ الفئة الثانية : هي الدول غير المسلمة . حيث تستهدف الدعوة خلق حالة من الاهتمام بالإسلام ثم تحويل حالة الاهتمام إلى حالة من الولاء ثم الإيمان واعتناق الإسلام ، ويتم هذا التطور في الدعوة عبر منطلقات متتابعة من التأثيرات على تلك المجتمعات غير المسلمة .

* إبراز القيم الإسلامية :

تهدف الوظيفة الاتصالية للدولة في الإسلام في مقدمة ما تهدف إليه إلى إبراز ونشر القيم الإسلامية ، ويعد هذا الهدف غاية في الأهمية والحساسية ، ولتحقيق هذا الهدف جملة من الممارسات نذكر أهمها في الآتي :

– نشر وإصدار وترجمة المؤلفات الإسلامية التي تتناول موقف الإسلام من القضايا المعاصرة ، وكذا الفكر الإسلامي المعاصر تجاه القضايا السياسية والاقتصادية والفكرية وكذا المؤلفات التي تحمل تطبيقات ونماذج الطرح الإسلامي في مجالات السياسة والحكم واستراتيجيات الإنماء الاقتصادي والتكافل الاجتماعي .

– الاشتراك في المؤتمرات والندوات والمنتديات العالمية من خلال باحثين ومفكرين ثقاة في مجال الدراسات والفكر الإسلامي لتقديم الطرح الإسلامي تجاه المستجدات والتطورات ، وتعد هذه اللقاءات فرصة طيبة لشرح منطق الإسلام الثقافي ورسالته الإنسانية في التعامل مع تلك المستجدات والتطورات .

– عقد الندوات والمؤتمرات والمنتديات العالمية خصيصاً لإطلاع رواد الفكر وصانعيه وأعلام الحركة وقياداتها على الطروحات الإسلامية والمساهمات الفكرية في شتى المجالات ، واستطلاع آراء المشاركين لتصحيح الخاطئ منها وتزكية الصائب .

– إقامة المراكز الإسلامية التي تكون بمثابة المنارات لنشر الإشعاع الفكري الإسلامي في جميع أنحاء العالم ، وتكثيف الضوء على القيم الإسلامية في الفكر والسلوك ، وشرح التجارب والتطبيقات النظمية الإسلامية .

– إقامة جامعات ومعاهد ومراكز للبحوث والدراسات الإسلامية ، لتدريس العلوم الدينية ، واستقبال كافة الدارسين من جميع أنحاء العالم ومن كافة الثقافات والجنسيات والديانات ، وكذا إجراء الدراسات والبحوث التي تهتم بإبراز منطق الإسلام في التعامل مع القضايا المعاصرة .

* الاحتكاك بالحضارات الأخرى :

احتكاك الدولة الإسلامية بالحضارات الأخرى أصبح حتمية تفرضها ظروف العصر وتطورات الواقع ، فلا يعقل أن تعيش دولة في عزلة عن العالم بمستجداته ومتغيراته كذلك فحتمية الاحتكاك بالمفهوم السابق مهمة في ذات الوقت للدولة الإسلامية لتحقيق أهدافها وإحراز غاياتها ، ولهذا الاحتكاك أشكال وأهداف نفصلها فيما يلي :

– أشكال الاحتكاك بالحضارات الأخرى :

لاحتكاك الدولة الإسلامية بالحضارات الأخرى والثقافات المنتشرة في العالم أشكال عديدة يمكن الحديث عن بعضها في الآتي :

○ التماس الفكري : حيث تتماس الدولة الإسلامية مع الحضارات والثقافات الأخرى في شتى أنحاء العالم فيما يتعلق بأفكار معينة وآراء محددة ، وإذا كانت الدولة الإسلامية تقف على المحتوى الفكري لتلك الحضارات والثقافات تجاه تلك الأفكار والآراء ، فهي مطالبة بأن تدفع بمنطقها الخاص وطرحها الذاتي تجاه نفس تلك الأفكار والآراء ، والمثال الراهن على ذلك هو إشكالية ما يُعرف بالعولمة .

○ التلاقي القيمي : فقد تلتقي الدولة الإسلامية مع الحضارات والثقافات الأخرى حول قيم معينة ومبادئ محددة مثل محاربة الفقر والجهل ومساعدة الدول المتخلفة وقضايا الإنماء والإحداث ، وهذا التلاقي الذي يتم بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى عبر المحافل الدولية ، يحتاج إلى إزكاء ودعم موقف الأولى ، وإبراز الموقف الإنساني والمنطق الثقافي للإسلام تجاه تلك القيم والمبادئ .

○ العناق الحضاري : حيث يضاف إلى ما تقدم العناق والتلازم والتماسك الذي يتم بين الحضارة الإسلامية ممثلة في الدولة الإسلامية وبين حضارات أخرى تمثلها دول أخرى من أجل دعم القضايا الإسلامية مثل قضية الأقليات المسلمة وقضية الصراع العربي الإسرائيلي .

○ العلاقات الاقتصادية : التي تقيمها الدولة الإسلامية مع دول العالم المختلفة للاستفادة من تلك العلاقات اقتصادياً ومادياً ، واعتبار هذه العلاقات مدخلاً لترسيخ ودعم أشكال الاحتكاك الأخرى — التي سبق تناولها — ومعلوم أن العلاقات الاقتصادية تتم بين أي طرفين في اتجاهي الأخذ والعطاء ، ومن ثم تكون الفرصة أوفر لإثمار الاحتكاك .

○ مد الجسور العلمية والتقنية : حيث تعمد كافة الدول في العالم إلى مد الجسور بين بعضها البعض للاستفادة من الاكتشافات العلمية والابتكارات التقنية ، وكذلك تفعل الدولة الإسلامية في الاستفادة من تلك التطورات ، وهذا النوع من الاحتكاك شائع في العالم وتستثمره كافة الدول .

– أهداف الاحتكاك بالحضارات الأخرى :

يهدف الاحتكاك الحضاري بين الدولة الإسلامية والعالم الخارجي إلى الآتي :

○ تتمثل أول أهداف الاحتكاك مع الحضارات والثقافات الأخرى في اكتساب الخبرة بكافة أشكالها وأنواعها .

○ كذلك يهدف الاحتكاك بالحضارات والثقافات الأخرى إلى التدليل على أن الإسلام يمثل نظاماً اجتماعياً وحضارة متكاملة وليس مجرد ديانة وشعيرة فقط .

○ يضاف إلى ما تقدم أن الاحتكاك بالحضارات والثقافات الأخرى يهدف كذلك إلى إثبات أن للإسلام رسالة إنسانية خالدة ترتكز على التواصل والتفاعل مع الحضارات والثقافات الأخرى فيأخذ منها ويعطيها .

• استقطاب ما يفيد المجتمع الإسلامي من الحضارات الأخرى :

الدولة الإسلامية تتعامل مع العالم الخارجي وتتفاعل مع الحضارات والثقافات المختلفة بحنكة ودراية نابعة من طبيعة الدين الإسلامي — التي سبق أن أوضحناها — ويرتكز هذا التعامل على قاعدة أساسية وركيزة رئيسية هي استقطاب ما يفيد المجتمع الإسلامي من الحضارات الأخرى . وهذه القاعدة تفترض امتلاك الدولة الإسلامية لأدوات وآليات خاصة بالفرز والتمييز بين القيم المفيدة والأخرى التي لا تصلح للتعايش مع المجتمع الإسلامي .

وتتمثل الأدوات والآليات خاصة بالفرز والتمييز في نسق القيم الإسلامية الذي يعد بمثابة المعايير والمقاييس والضوابط التي تفصل بين القيم الصالحة للتعايش مع المجتمع الإسلامي والأخرى التي لا تتواءم مع خصائص ذلك المجتمع وسماته ، ولا تقتصر القيم القابلة للاستقطاب إلى المجتمع الإسلامي على القيم المعنوية فقط أو المادية فقط ، ولكن يمكن نقل كافة القيم المادية والمعنوية ولكن شريطة التواؤم مع المجتمع الإسلامي .